فى الأدب العربى

مهيار الديلمى

دراسة تحليلية لحياته وشعره

للأستاذ حامد عبد القادر

المدرس بالمدرسة الخديوية الثانوية

(تتمة البحث الذى نشرنا القسم الأول منه فى الجزء الأول من المعرفة)

(٢)

(٥) مدائحه

لم يكن لمهيار فيما نعلم غلة يعتمد عليها أو مهنة يزاولها إلا نظم القصائد يتقرب بها لدى الملوك والأمراء فلا عجب إذا ملأت أشعاره أربعة من كبار المجلدات إذ هى كل ماأنتجته تلك القريحة الوقادة وماأخرجه ذلك العقل الناضج خلال مايقرب من نصف قرن

وقد كان مهيار مرغما على قول الشعر ليقتات منه ويعيش عيشة هنيئة ويحيا حياة أمثاله من كبار الشعراء والكتاب وقد أغراه بذلك رواج سوق الشعر والأدب فى ذلك العصر واتصاله بكثير من الأمراء والأدباء وبالأوساط التى كانت تضم أستاذه الشريف الرضى وهذا هو السبب فى أن معظم مطولاته فى المدح والتهنئة

فاتصاله بملوك بنى بويه ووزرائهم وولاتهم وحاجته إلى عطاياهم وتقديرهم لشعره حق قدره بل وتحريضهم إياه على صوغ القوافى كل هذه شجعته على أن يمدحهم ويسجل مفاخرهم ويبكى موتاهم بكاء مراً ولايدع حادثة مهمة إلا ويسجلها بشعره ولايترك فرصة إلا ويتخذها وسيلة لأظهار براعته فى الشعر وعلو كعبه فى صوغ القوافى لاسيما بعد أن غابت شمس الشريف الرضى من سماء الشعر (٤٠٦) عقب أفول نجم ابن نباتة السعدى (٤٠٥) أى خلال الاثنتين والعشرين سنة الأخيرة من سنى حياته

ويدلنا على أنه كان أشد اتصالا بالعجم أن أطول قصائده وأكثرها عددا هى تلك التى نظمها يحيى بها ملوكهم وأمراءهم ويهنئهم بمواسمهم وأعيادهم وبما يناهم من مراتب عالية أو خلع سنية وهذا يبرهن على أنه كان محافظا على وطنيته مائلا بطبعه إلى فارسيته فهو أطول نفسا إذا مدح وزراء بنى بويه وهنأهم بالأعياد الفارسية وهى النيروز والمهرجان والسدق فقد يصدر ثلاث مطولات فى مهرجان واحد ولم نعلم فيما نعلم أنه مدح أحدا من خلفاء بنى العباس أو أنه أطال فى التهنئة بالعيدين

وقلما نجد مطولة من مطولاته فى المدح إلا وهى مصدرة بغزل رقيق أو نسيب دقيق وكثيرا ما كان يجرى فيها على عادة القدماء من وصف الديار بعد ارتحال الأحبة وقطع الفلوات فى انتجاع ديار الكرماء فمدائحه فى الغالب طويلة تكاد تكون قاصرة على الفرس وأعيادهم وكثيرا ماتجدها مصدرة بالغزل الذى تغلب عليه طريقة المتقدمين

(٦) تكسبه بالشعر

أما أن مهيار كان يتكسب بالشعر فهذا مالا سبيل إلى إنكاره وهو نفسه لايرى فى ذلك غضاضة ولا عيبا يدلك عليه ماسنورده عليك من نماذج مدحه التى يعرض فيها بالسؤال ولايعده نقيصة

ولكنه مع ذلك ليس بملحف ولا بملح فى المسألة فهو يرى نفسه جديرا بأن يعطى المال جزاء على فضله ومكافأة على نبوغه وقد ضاقت سبل العيش فى وجهه وانقطعت عنه أسباب الرزق يوما من الأيام فقال : (١)

أعينونى على طلب المعالى ... فقد ضاقت بها سعة احتيالى
ودلونى على رزق بعيد ... وإن هو قل عن بذل السؤال
فلو قنن الجبال زحمن جنبى ... وقعن أخف من منن الرجال (٢)
وإلا فاسلبونى حظ فضلى ... إلى ما فاتنى من حظ حالى
ونجونى وحيدا لا على الـ ... ـمحاسن والشقاء بها ولالى

ولم يكن مثل غيره من المتقدمين من الشعراء متقلب الأهواء يميل مع النعماء حيث تميل ويسير مع المال حيث سار فلم يكن يمدح من لا يستحق المدح رغبة فى عطاياه أو يهجو العظيم إذا قطع عنه هداياه ولكنه كان يمدح الكبار من أرباب الدولة وكان مع ذلك وفيا محافظا على قديم مودتهم معترفا بسابق صلتهم وربما كان أوضح مثال لوفائه قوله فى القصيدة السابقة

وخلّ كان إن أخفقت مالى ... وإن أنا خفت نازلة مآلى
يحوط جوانبى ويذب عنى ال ... أذى ذب الجفون عن النضال
وإن أهديت بكرا من ثناء ... إليه تميس فى حلل الجمال
تناهى فى كرامتها قبولا ... وغالى فى المهور بها الثقال
فغيره الزمان وأى حال ... من الأحداث سالمة بحال
ونكس رايتى منه نصيرى ... وميل صعدتى رب اعتدال (٣)
كنور الشمس منه البدر ينمى ... ومنه النقص يسرى فى الهلال
ولكن جفوة لم تنس عهدا ... ولم تجز الدلال إلى الملال

(١) راجع الديوان ص ٣٥ ج ٣ (٢) القنن جمع قنة وهى أعلى الجبل (٣) الصعدة : القناة المستوية نبتت كذلك لا تحتاج إلى تثقيف . ثم أستعيرت لقناة الظهر

ومما يدل على تعففه قوله (٥٦ — ١ مختارات البارودى)

يريدوننى أن أشترى المال سائلا ... بعرضى وطيب الفرع أن يحفظ الأصل
ويقبح عندى (والفتى حيث نفسه) ... سؤال بخيل مثلما يقبح البخل
فلى منه إما المنع والعذر بعده ... يلفق مكذوبا أو المن والبذل

(٧) من اتصل بهم مهيار من العظماء

لو نشاء لذكرنا لك عشرات من الفرس والعرب الذين اتصل بهم مهيار وعكف على مدحهم وعكفوا على صلته ولكن يكفى أن نقول : —

(١) إنه مدح من ملوك بنى بويه جلال الدولة ركن الدين ملك العراق (٤١٦ - ٤٣٥) ومن أشهر مامدحه به قصيدة طويلة أولها غزل رقيق هو : (١)

بطرفك والمسحور يحلف بالسحر ... أعمدا رمانى أم أصاب ولايدرى
تعرض بى فى القانصين مسدد ال ... إشارة مدلول السهام على النحر
رمى اللحظة الأولى فقلت مجرب ... وكررها أخرى فأحسست بالشر
فهل ظن ماقد حرم الله من دمى ... مباحا له أم نام قوم على الوتر

وفيها يمدح جلال الدولة (ركن الدين) فيقول :

تعالى بركن الدين صوتى وشيدت ... محاسنه وصفى وسار بها ذكرى
وكان إلىّ الدهر بالشر ناظرا ... فغمض عنى جوده ناظر الدهر
وإن كان هذا الدهر قدما يطيعنى ... فقد زاد بسطا فى لسانى وفى فكرى
وكنت له نجما فلما مدحته ... كسانى سنا إقباله بلجة الفجر (٢)
إليك مليك الأرض ألقت ملوكها اضـ ... ـطرارا عنان النهى فى الأرض والأمر
ودان لك الغر الميامين من بنى ... بويه كما دان الكواكب للبدر
رأوك فتاهم فى الشجاعة والندى ... وشيخهم المتبوع فى الرأى والعمر

(١) راجع الديوان ص ٧٥ ج ٢ (٢) البلجة بوزن الفرجة والضربة : نقاوة مابين الحاجبين

فأعطوك طوعا ماتعـــذر منهم على كل باغ بالكراهة والقسر
نظمت لهم عقـد العلا وفضلتهم فأصبحت وسط العقد فى ذلك النحر
لكم أول الدنيا القديم وعنكم يكون قيام الأمر فى ساعة الحشر

ولا تطعم الدنيا بنيها سوى الذى تشيرون من حلو إليـه ومن مر
بكم يصبح الدين الحنيفى آمنا إذا بات مخلوع الفؤاد من الذعر

وقد شغب الأتراك من الجنود على جلال الدولة وثاروا عليه فتمكن من إخضاعهم وإرجاعهم إلى الطاعة فنظم مهيار قصيدة عامرة الأبيات يسجل الحادثة و يمدح جلال الدولة و يمدح آل بويه معه و يبدأ القصيدة كعادته بغزل لطيف فيقول: (٢٥٠ — ٢)

فى كل دار عدو لى أقاذعه وعاذل أتقيه أو أصانعه
وآمر بسلو لا يطاوعنى قلبى عليـــه وناه لاأطاوعه
يعيا بوجدى ولم يحمل بكاهله ثقلى ولاضمنت قلبى أضالعه
كأننى أول العشاق طاب له مغنى الأحبة وارفضت(١) مدامعه
عابوا وفائى لمن أهوى وقد علموا أن الخيانة ذنب لاأواقعه
وهل تصح لمأمون أمانته يوما إذا الحب لم تحفظ ودائعه
نعم وقفت على الأطلال أسألها ما كل مستخبر تصغى مسامعه
وقد يجيبك وحيا من تخاطبه وتفهم القول ممن لاتراجعه

وفيها يقول مشيرا إلى ثورة الأتراك:

أما ترى ملك الأملاك خاونه عبيده وعتت كفرا صنائعه
ثعالب تتقاوى ساقها وعل لضيغم لم تزعزعه زعازعه
ماقمت تزأر منها واحدا صمدا إلا وجبار ذاك الجمع خاشعه
رأوا ولاءك وسما فى جباههم فذلهم لك أن عزوا طوابعه

(١) ارفض: سال

وكيف تعصى رقاب أنت مالكها ملك اليمين وسيف أنت طابعه
عادوا وبسطة أيديهم تثقلها أغلال منّك فيها أو جوامعه

ثم هو بعد ذلك يمدح جلال الدين وآل بويه فيقول :

يامن إذا قال هل فى الأرض من ملك سواى لم ير مخلوقا ينازعه
من مات من قومك الصيد(١) الكرام فقد أحياه ذكرك وابتلت مضاجعه
ومن على الأرض منهم سيد ملك فأنت خافضه أو أنت رافعـــه
الله سربلكم بالملك مصلحة للعالمين فمن ذا عنك نازعه
وهل يقوض بيت من رجالكم عماده وبأيديكم مجامعـــه
فركن دولتكم بالأمس أوله وأنت ياركن دين الله رابعه (٢)

(٢) ومن الوزراء الذين خصصهم مهيار بمدائحه الغر الطوال بنو عبدالرحيم وزراء بنى بويه نذكر منهم على الأخص أبا سعيد بن عبد الرحيم الملقب بعميد الدولة وزعيم الأمة وأباه أبا القاسم وزعيم الملك أبا الحسن وزعيم الدين الحسن فمن قصائده العديدة التى مدح بها أباسعيد قصيدة مطلعها : (ص ١٤٦ ج ١)

سل الركب إن أعطاك حاجتك الركب من الكاعب الحسناء تمنعها كعب (٣)

وفيها يقول يمدح عميد الدولة وبنى عبد الرحيم :

ومد عميد الدولة العرض راسخا فحدث عن ضرب العلا الرجل الضرب (٤)
وما علمت أم الكواكب (٥) قبله وقبلهم أن الهلال لها عقب
وأن شروق الشمس عنهم سينتهى إلى ملك فى [illegible] الشرق والغرب
أرى الملك بعـــد الميل قامت قناته وإ[illegible] ما انصدع الشعب (٦)
لك البلجة البيضاء إن مات فجره وفى يدك التفريج إن غشى الكرب

(١) الأصيد الملك أو الرافع رأسه كبراً والجمع صد (٢) جلال الدين ركن الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الـ (٣) كعب : اسم قبيلة (٤) الرجل الضرب : الماضى الخفيف اللحم (٥) أم الكواكب : الشمس (٦) الشعب الكسر الصدع

وقال يمدح بنى عبدالرحيم أيضا من قصيدة طويلة : (ص ١٣٣ ج ١)

لتسق بنى عبد الرحيم أكفهم فأروى الحيا (١) وكافه وصبيبه
هم القاتلون الأزم والعام مسنت (٢) يقطب فى وجه المسيم (٣) جدوبه
ربا الملك طفلا ناشئا فى حجورهم وأشيب هـذا الدهر بعد ربيبه

وفيها يمدح زعيم الدين الحسن بقوله :

إذا (مازعيم الدين) حدث عنهم توارد شبان الفخار وشيبه
هو البلجة البيضاء فى وجه عزهم إذا شان عز القوم بان شحوبه
فتى كملت فيه أداة اكتهاله وغصن الصبا لم يعس (٤) بعد رطيبه
تحمل أعباء الرياسة ناهضا فما لان من عرض الرجال صليبه

ومن أجود مدائحه لبنى عبد الرحيم قوله (مختارات البارودى ص ٣٠٩ ج ٢)

ولدتهم أم الفضائل أخوة متشابهين أصاغرا كأكابر
كالراح كل بنانها منها وإن بان اختلاف أباهم وخناصر

(٣) ومن أرباب الدولة الذين اتصل بهم مهيار آل أيوب وعلى الأخص عميد الرؤساء أبا طالب الذى استوزره القادر بالله (٣٨١ — ٤٢٢) مكان أبى الحسن ابن حاجب النعمان وقد مدح مهيار أبا طالب هذا و بالغ وأتى بالعجب العجاب فمن ذلك قوله : (الديوان ص ٣١٠ ج ٣)

لولا ابن أيوب وآباؤه ما نهضت محصنة عبد كريم
قوم إذا ما احتجزوا بالحبى قالوا فكانوا شرفا للخصوم
أوعد مجد الناس أطرافه وجنبه عدوهم فى الصميم
أو ركبوا الخيل إلى مأزق تبدلوا الهام بقوس الشكيم
بيض المجانى نور أوضاحهم يشد فى وجه الزمان البهيم

(١) الحيا : المطر (٢) الأزم : الضيق ومسنت : مجدب (٣) المسيم : الراعى
(٤) لم يعس : لم يكتهل

إن كوثروا سدوا مسد الحصا أو فوخروا أغنوا غناء النجوم
أو قطرت فى المحل (١) أيديهم بانت بها آثار بخل الغيوم
عندك منهـــم بأبى طالب ماوصف الحادث فضل القديم

ومن جيد مدحه لأبى طالب قوله : (الديوان ص ٣٣٨ ج ١)

رأى المعالى بالمساعى تقتضى والشرف المحرز من كسب الندى
فصاعب الأسود فى أغيالها صرامة وجاود الغيث جدا (٢)
وكلما قيل له قف تسترح جزت المدى قال : وهل نلت المدى؟
ناهض ثقل الدولتين فكفى الـــملك الطريف ما كفاه المتلدا (٣)
وكان للأمرين منـــه جنة مسرودة وصارما مجردا
فاغترس «القادر (٤)» يوم نصره واستثمر «القائم بالأمر» غدا
قام بأمر جامع صلاحه فضمه بنفسه منفردا
فلست أدرى ألوحى هابط أم اختيارا لقّباه الأوحدا ؟
وزارة وفرها لدسته أن أباه قبل فيـــه استندا
دبرها مستبصرا فلم يكن مفوضا فيها ولا مقلدا
يسند عن أبائه أخبارها صادقة إذا اتهمت المسندا

(٤) ومن الوزراء الذين مدحهم مهيار الوزير الكافى الأوحد وزير الرى الذى كان يدر على مهيار الخير ويجرى عليه العطايا والهبات لينطق لسانه بمدحه وتشيد قصائده من ذكره فمن ذلك قوله : (الديوان ص ٢٣٠ ج ١)

ومن بلّغته الأوحد الكافى المنى تغزل مكفيا وفاخر أوحدا
لذاك اشتياقى ليس أن جاز نى له على البعد إحسان ولا فاتنى ندى
مواهبه سارت لحالى كثيفة وشعرى مطلوبا وذكرى مشيدا
فمن نعمة خضراء تسبق نعمة له ويد بيضاء لاحقة يدا

(١) المحل : الجدب (٢) غنى (٣) القديم (٤) الخليفة القادر بالله

فتى لم أجد لى غيره فأقول : ما أعم عطاء من فلان وأجودا
أنال وفى الأيام لين وأيبست فلم ينتقص ذاك النوال المعودا
إذا بلغ الزوار بابك ألقيت رحال ذليل عز أو حائر هدى

(٥) ومن هؤلاء الوزراء فخر الملك الذى يقول فيه مهيار (من قصيدة يهنئه فيها بليلة السدق (ليلة الألعاب النارية) (الديوان ص ٣٦٢ ج ٣) وقد اتخذها الفرس عيدا ثالثا ليوم النيروز والمهرجان يعمل فى ليلة الحادى عشر من شهر (بهمن ماه) وهم يكثرون فيه من إشعال النار و إيقاد الشموع)

عادى بك الناس ناسا والزمان فتى وقام ظهر حناه الشيب والهرم
لكل وقت نصيب منك تلحظه فيه العناية حتى تستوى القسم
يوم بعدلك مات الظلم فيه إلى ليل بنورك ماتت تحته الظلم
وليلة من ضياء وهى مظلمة بليلة من « جمادى » وهى تضطرم
وجه الزمان بها حران ملتهب وقلبها بارد من حسنها شبم (١)
تاهت على العام إذ صيرتها علما فيه ، وبالنار ليلا يعرف العلم
افتح علىّ وعلمنى الذكاء وصف هذا مقام على الأفكار ينعجم(٢)
أدارك الأفق العالى أم افتضحت لها السماء يقينا أنها حرم
أم الكواكب من شوق إليك هوت ترجو نداك فجموع ومنفصم
أم أنت يوسف موعودا وقد سجدت لك النجوم وهذا كله حلم

(٦) وقد كان بين مهيار و بين الرئيس أبى الحسن محمد بن الحسن الهمانى أمير النهراوان (مقاطعة إلى الجنوب من بغداد) صلة متينة وخلطة قديمة فكثيرا ما كان يمدحه مهيار . ومن مدائحه له قوله من قصيدة مطولة : (الديوان ص ٣٥٦ ج ٣)

أبا حسن أمطرت منى دوحة تطول وتنمى والغمام جهام
مباركة تجنى لأول حولها ويذوى أراك حولها وتشام

(١) شبم . بارد (٢) لا يبين

وضعت سنانا دون عرضك والفا دما ولسانا أن أجـــد خصام
وأسمنت أيامى فعدن بدائنا وهن جلود من ضنى وعظام

وفيها يقول مشيرا إلى أشعاره :

فلا يعد منك الحمد منى شواردا لهن على بعـد المسير مقام
من الكلم المختص يعلم ما أتى وفيـه كما فى قائليـه طغـام
مولدة ما بين كسرى ويعرب وفى السيف ماء كامن وضرام
أصول لها قصر المـدائن خطة وفرع لهـا بالأبطحين خيام
فمليتها كفا عروفا بحقها لهـا منك كفل ناهض وقوام
وعشت وعاش الحاسدون بدائهم فأن حياة الحاسدين حمـام

(٧) ومن مشاهير كتاب العصر الذين اتصلوا بمهيار وكاتبوه وشملهم بمدحه أبو الحسين أحمد بن عمر النهروانى (١٨٤ — ١) وأبو منصور الحسن بن على بن المزرع (١٢٠ — ١) والحسن المختار بن عبد الله الذهبى (١٦١ — ١) وأبو الحسن هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابى (٩ — ١)

والظاهر أن مهيار لم يظهر فى عالم الشعر ولم يذع صيته فى أفق الأدب إلا بعد أن دالت دولة المشاهير من كتاب العصر أمثال الصاحب بن عباد وبديع الزمان فأنا على كل حال لانجد لهؤلاء أثرا فى شعر مهيار

هـذا قل من كثر وغيض من فيض من مدائح مهيار التى أذاعت ذكره فى المشرقين وجعلت الكبار يخطبون وده ويتقربون إليه وماظنك برجـل يتقرب إليـه الملوك والأمراء ويحافظ على ولائه الكتاب والأدباء ولاعجب فالحياة كانت فى ذلك العصر حـــياة منافسة وصراع لابين بعض الدول و بعض فقط ولـكن بين بعض الأمراء فى دولة واحدة و بعض

ولسنا بمبالغين إذا قلنا لك إن كثيرا من أر باب الدولة كانوا يطلبون من مهيار أن يعطف عليهم وينوه بذكرهم فى أشـعاره و يتوسلون إلى ذلك بأغداق العطايا عليه و باتخاذ أصدقائه وأحبائه شفعاء لديه

وممن كرر الرغبة فى التقرب إلى مهيار والفوز بمدائحه الصاحب عميد الحضرة أبو طاهر بن حماد (١٠٢ — ١) وأبو الحملات شبيب بن حماد بن مزيد من أمراء الجند (٩٨ — ١) والشريف أبو على عمر بن محمد السابسى (٢١٣ — ١) والرئيس أبو القاسم هبة الله بن على بن ماكولا (٤١١ — ١) والأمير نور الدولة دبيس بن على بن مزيد (٢٨٦ - ١)

(٨) مراثى مهيار

وفى مراثى مهيار تتجلى لك ناحية أخرى من شخصيته فأنت تتصوره فى مدائحه طربا متبسطا يميل إلى المزاح والعتاب الظريف ولكنك حينما تسمع مراثيه تتخيله حزينا كاسف البال منغص العيش ناقما على الدنيا وعلى مافيها لاتهنأ له حياة ولايروق فى نظره نعيم

وتمتاز مراثيه بقصرها بالنسبة لمدائحه و بكونها خلوا من المقدمات الطوال فهو يبدؤها بالبكاء والتحسر و لا يقف و لا يستوقف و لا يعطى للسامع حينما يسمع مطلع القصيدة فرصة للشك فى أن القصيدة فى الرثاء

و يلاحظ أن البحور الطويلة التى استخدمها مهيار فى مراثيه تكاد تكون محصورة فى الكامل والطويل ذينك البحرين البطيئين فى حركاتهما بطء الجنائز فى سيرها وإنك لتجد ألفاظ مراثيه فخمة شعرة بجلال الموضوع وهيبته كما تجد تراكيبها جزلة متينة محكمة البناء تصيب المعنى المراد كما تصيب المنية من انقضت آجالهم وتقيم لك برهانا بعد برهان على شدة توجع الشاعر وعلى أن مايقوله صادر عن قلب جريح وفؤاد مكلوم فلا تكاد تنتهى من قراءة بيت وتفهم معناه إلا وتشعر بقلبك يضطرب وفؤادك يضطرم

والحق أن مهيار أجاد هذا الفن من فنون الشعر أيما إجادة والظاهر أنه حاوله مرات عديدة فنبغ فيه وأتقنه « و إنما العلم بالتعلم » وماذلك إلا لأنه كان مرغما بحكم ظروفه و كثرة أصدقائه الذين هو لسانهم المعبر عن أفراحهم الحزين لأحزانهم على أن يذكر هؤلاء فى الضراء كما ذكرهم فى السراء وذلك

لا يكون إلا بتعزيتهم إذا فقدوا عزيزا لديهم وبرثائهم هم أنفسهم إذا اختطفتهم يد المنون وحرم لذة لقائهم والتمتع بخيراتهم

ومن مشاهير الأشراف الذين رثاهم مهيار أبو الحسن بن الناصر العلوى خال الشريف الرضى (٣٤٦ — ١) والشريف الرضى نفسه (٢٤٩ — ١) و (٣٣٦ — ٣) ومن الأمراء الكافى الأرجد (٢٧ — ٣) والصاحب أبو القاسم ابن عبد الرحيم (٤١٨ — ١) وأبو الحسن أحمد بن عبد الله (٥٤ — ١) وعميد الجيش أبو على بن أستاذ هرمز (٣٤٩ — ٣)

ومن الشعراء ابن نباتة السعدى (٥٤ — ٣)

ومن الكتاب أبو الحسن الهمانى (١٩٠ — ١)

وعندى أن أفخم مراثيه مارثى به الشريف الرضى رثاه بقصيدتين مطلع أولاهما الذى هو :

من جب(١) غارب (٢) هاشم وسنامها ولوى لؤيا فاستزل مقامها

يكفى وحده للدلالة على أن القصيدة قصيدة رثاء وأن المرثى من أشراف هاشم ولؤى وجلال الألفاظ ومتانة التراكيب وروعة البدء تبرهن على ماذكرنا لك آنفا من براعة مهيار فى فن الرثاء

وإن الأبيات التالية لتزيدك يقينا بصحة مانقول . اصغ لمهيار يندب

وغزا قريشا بالبطاح فلفها بيد وقوض عزّها وخيامها
وأناخ فى مضر بكلكل(٣) خسفه يستام (٤) واحتملت له ماسامها
من حل مكة فاستباح حريمها والبيت يشهد واستحل حرامها
ومضى بيثرب مزعجا ماشاء من تلك القبور الطاهرات عظامها
يبكى النبى ويستنيح لفاطم بالطف (٥) فى أبنائها أيامها

(١) جب : قطع (٢) الغارب : الكاهل وهو مابين السنام والعنق (٣) الكلكل : الصدر (٤) يستام : يبتاع بالمساومة (٥) الطف : شاطى الفرات الذى قتل عنده الحسين بن على

الدين ممنوع الحمى ؛ من راعه ؟ والدار عالية البنا ؛ من رامها ؟
أتناكرت أيدى الرجال سيوفها فاستسلمت؟ أم أنكرت إسلامها؟
أم غال ذا الحسبين حامى ذودها قدر أراح على العدو سوامها

ثم أنصت له بعد ذلك يعدد مفاخر أستاذه بقوله :

حل الملوك لك الجنى وتسلبت(١) قمم عمائمها استقين كمامها
أبكيك للدنيا التى طلقتها وقد اصطفتك شبابها وعرامها(٢)
ورميت غاربها بفضلة معرض زهدا وقد ألقت إليك زمامها
والأرض كنت على فقاره(٣) ظهرها علما إذا كتم الدجى أعلامها

ثم هو بعد ذلك يذكر ما كان للشريف من امتلاك لنواصى القول وتفوق فى صوغ القوافى فيقول :

ولقوله عوصاء(٤) ارتج بابها ففتحته لما ولجت خصامها
وقلائد قذفت بحارك درها وقضى لسانك رصفها ونظامها
هى آية العرب التى انفردت بها راعيت فيها عهدها وزمامها
حمست حتى قيل صب دماءها وغزلت حتى قيل صب مدامها
ماتت بموتك غير ماخلدته فى الصحف إذ أمددته أقلامها

وفيها يقول متحسرا على فقد أستاذه :

لأساهرن الليل بعدك حسرة إن ليلة عابت حزينا نامها
ولأسرجن عن العزول على الأسى أذنا محرمة على من لامها
ولأبدلن الصبر عنك بقرحة فى الصدر لايجد الدواء لحامها
أبكى لأطفئها وأعلم أننى بالدمع محتطب أشب ضرامها

ولما رثى مهيار الشريف بهذه القصيدة عزّ على قوم ممن كانوا يحسدون

---

(٤) تسلبت المرأة أحدت على زوجها والكمام جمع كم وهو وعاء الطلع
(٢) العرام : الشدة (٣) الفقاره : الفقره (٤) العوصاء : المعقدة

الرضى على فضله فى حياته أن يرثى بمثل هـذه القصيدة بعد وفاته فأطلق مهيار للسانه العنان فجرى فى ميدان البيان وشفع القصيدة بأخرى لاتقل عنها منزلة ردا على هؤلاء الحاسدين وانتقاما من الأعداء الشامتين

وهاك شطرا صالحا من هذه القصيدة (٢٤٩ — ١)

قريش لا لفم أراك ولا يد ... فتوا كلى غاض الندى وخلا الندى
خولست فالتفتى بأوقص (١) واسألى ... من بز ظهرك وانظرى من أرمد (٢)
وهى الذحول (٣) فلست رائد حاجة ... تقضى بمطـــرور (٤) ولا بمهند
خـــلاك ذو الحسبين انقاضامتى ... تجذب على حبـــل المذلة تنقد
قمر الدنا أضحت سماؤك بعـــده ... أرضا تداس بحـائر وبمهتـــدى
فأذا تشادقت (٥) الخصوم فلجلجى ... و إذا تصادمت الكماة فعردى (٦)
عادت أراكة هاشم من بعـده ... خورا (٧) لفأس الحاطب المتوقد
كانت إذا هى فى الأمامة نوزعت ... ثم أدعت بك حقها لم تجـــحد
بكت السماء له وودت أنهـــا ... فقـدت غزالتها (٨) ولما يفقد
وبكاك يومك إذجرت أخبـــاره ... ترحا وسمى بالعبـوس الأنكد
صبغت وفاتك فيـــه أبيض فجره ... يالليون من الصباح الأسود

ومن رثائه لابن نباته السعدى قوله (٥٤ — ٣)

حملوك لوعلموا من المحمول فارتاض (٩) معتاص وخف ثقيل (١٠)
واستودعوا بطن الثرى بك هضبة ... فأقلها أن الـــثرى لحمول
هالوا التراب على دقيق شـــخصه ... معنى التراب وقـد حواه جليـل
جسد حبست عـــلى التبلغ زاده ... فسمنت من طرفيـك وهو هزيل

(١) الأوقص : العنق القصير (٢) الأرمد : الذى به رمد (٣) الذحول : الأحقاد (٤) المطرور : المحدد يريد سنان الرمح (٥) تشادق : أفاض فى المنافسة (٦) عرد : هرب (٧) الخور : الضعف (٨) غزالة السماء : الشمس (٩) ارتاض الفرس أصبح مروضا ذليلا (١٠) المعتاص من الأمور : الشديد

لو تعقل الدنيا ؟ بأى بقية (١) زال الردى عنها وأنت تزول
علمت ببيعك أن يومك صفقة مغبونة ومن البيوع غلول

وفيها يقول :

ياناشد الكلم الغرائب أعرضت شبها فليس لآيها تأويل
قم ناد فى النادى ألابن نباتة أذن فيسمع أو فم فيقول
واسأل غطارف(٢) من تميم أمهم يوم انطوى عبد العزيز ثكول
لم أغمدت عن نصره أسيافكم ولسانه من دونكم مسلول
أو ما لبستم ماكسا أعراضكم رقشاء يعرض(٣) نسجها ويطول
ضيعتم رحما رعاها برهة ويبيسها بكلامه (٤) مبلول

وقال يرثى الكافى الأوحد (٢٧ — ٣)

ما للدسوت وللسروج تسائل من قائم عنهن أو من نازل
لم سد باب الملك وهو مواكب وخلت مجالسه وهن محافل
ما للجياد صوافنا وصوامتا نكسا(٥) وهن سوابق وصواهل

وفيها يقول :

لم يفنك الكرم العتيد ولا حمى عنك السماح ولا كفاك النائل
كنت الذى مر الزمان وحلوه فيمن يصابر عيشه ويعاسل
فغدوت مالك فى عدوك حيلة تغنى ولا لك من صديقك طائل
والموت أجور حاكم وكأنه فى الناس قسما بالسوية عادل
لا اغتر بعدك بالحياة مجرب عرف الحقوق فلم يرقه الباطل

وقال فى رثاء أبى الحسن أحمد بن عبدالله :

ياثاويا لم تقض حق مصابه كبد محرّقة وجفن هامل

(١) البقيه العقل والفهم « فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقيه ينهون عن الفساد » (٢) غطارف جمع غطريف وهو السيد الكريم فى قومه (٣) الرقشاء : البرده المتقطعه (٤) الكلام الجروح (٥) نكسا : ضعيفا

أفديك لو أن الردى بك قابل من مهجتى وذوى ما أنا باذل
مابال أوقاتى بفقدك هجرت ولقد تكون لديك وهى أصائل
قد كنت ملتحفا بمدحك حلة فخرا تجر لها علىّ ذلاذل(١)

وقال فى رثاء أبى الحسين أحمد بن عبد الله :

نعم هذه يادهر أم المصائب فلا توعدنى بعدها بالنوائب
هتكت بها ستر التجامل بيننا ولم تلتفت فينا لبقيا المراقب
ومازلت ترمى صفحتى بين عاضد ومنحرف حتى رميت بصائب
أبعد ابن عبد الله أحظى براجع من العيش أوآسى على أثر ذاهب
طوى الموت منه برده فى دروجها بقية أيام الكرام الأطايب

(٩) الغزل والنسيب

قدمنا لك أن جل مدائح مهيار إن لم يكن كلها مصدرة بالغزل ذلك الفن الذى كان يميل إليه مهيار بطبعه وربما تعجب إذا وجدت أن غزله من النوع العفيف الذى لايخرج عن حدود الحشمة مع أنه كان يسكن بيئة مجون ويعيش فى عصر خلاعة ويقيم فى مدينة بغداد عهد المنادمة والفجور فى ذلك العصر ولكن سرعان ما يزول عنك هذا العجب إذا ذكرت اتصال مهيار بالشريف الرضى والشريف كان من أكبر الغزليين ولكن شرف محتده وعلو منزلته فى قومه وعشيرته وما عرف به من الوقار والاحتشام كل هذه أبت عليه أن يجنح إلى سقط القول و يتنزل إلى التفحش فى الغزل وقد كان لذلك أثر كبير فى نفسية مهيار الذى يمتاز غزله برقة ألفاظه وعذوبة تراكيبه « وخفة روحه »

وشاعرنا يلعب هنا بالألفاظ و يذهب بها كل مذهب « كأنما يدخرها فى علب » و يميل إلى الظهور فى لباس الشاعر البدوى الذى يحن إلى البادية ويكثر من ذكر ألفاظ البدو فيتغنى بالغضى (٢) وبجرعاء الحمى و بالبيداء والبيد

(١) الذلاذل : أقصة مختلفة الطول يوضع بعضها فوق بعض (٢) الشجر

و ربما كان هذا هو الفن الوحيد من فنون الشعر الذى يتظاهر فيه مهيار بالعروبة و إن كنا نجد فى بعض غزله ذكر بابل وما فيها من السحر والسحرة مثل قوله (٦٤ — ٣)

أأصحو على النظر البابلى والخمر والسحر فى بابل
تعجلت يوم اللوى نظرة ولم أتلفت إلى الآجل
فكنت القنيص بها لا الغزال بعينى لا كفة الحابل
فيارب قلد دمى مقلتى بمانظرت واعف عن قاتلى
هنيئا لحبك ذات الوشاح دم طل فيه بلا عاقل

ومن جيد غزله غير ما ذكرنا فى مدائحه (٣٢٧ — ٣)

بكر العارض تحدوه النعامى(١) فسقاك الرى يادار أماما
وتمشت فيك أرواح الصبا يتأرجن بأنفاس الخزامى (٢)
أين سكانك لا أين هم أحجازا أقبلوها أم شآما

وفى هذه القصيدة يقول :

قل لجيران الفضا آه على طيب عيش بالفضا لوكان داما
نصل العام وما ننساكم وقصارى الوجدان نسلخ عاما
حملوا ريح الصبا نشركم قبل أن تحمل شيحا(٣) وثماما
وابعثوا أشباحكم لى فى الكرى إن أذنتم لجفونى أن تناما
وقف الظامى على أبوابكم أفيقضى وهو لم يشف أواما(٤)
ما يبالى من سقيتن اللمى منقكن الماء عذبا والمداما

(١) العارض السحاب المعترض والنعامى ريح الجنوب وهى أبل الرياح وأرطبها (٢) الخزامى لحبارى نبت زهرة أطيب الأزهار نفحة والتبخير به يذهب كل رائحة منتنة وشربه مصلح للكبد والطحال والدماغ البارد (٣) الشيح نبت معروف له رائحة والثمام نبت ضعيف له خوص أو شبه الخوص (٤) الأوام : العطش

واعجبوا من أن يرى الظلم حلالا شارب وهو يرى الخمر حراما (١)

أشتكيكم وإلى من أشتكى أنتم الداء فمن يشفى السقاما
وأنتم والدهر سيف وفم ما تملان ضرابا وخصاما

ومن رقيق غزله قوله (٣٤٤ — ١)

أعانق غصن البان منها تعلة فأنكره مساً وأعرفه قداً
وأعدل لثم الأقحوان بثغرها فأرزقه برقا وأحرمه بردا
فلله من لم استعض عنه غائبا ولم أر منه ظالما أبدا بدّا

وكذلك قوله (ابن خلكان ص ١٩٧ ج ٢ طبعة بولاق)

أرقت فهل لها جعة بسلع على الأرقين أفئدة ترق
نشدتك بالمودة يا ابن ودى فأنك بى من ابن أبى أحق
أسل بالخزع دمعك إن عينى إذا استدررتها دمعا تعق
وإن شق البكاء على المعافى فلم أسألك إلا ما يشق

(١٠) الوصف

وهذا أيضا من الفنون الشعرية التى أجادها مهيار وله فيه المقطعات والقصائد والوصف مثل الغزل يتخلل كثيرا من مطولات مهيار. ومن يقرأ أوصافه يتبين له دقة خياله ورقة شعوره وقوة ملاحظته فهو إذا تناول أمراً بالوصف أحاط به من جميع نواحيه ولا يدع صغيرة ولا كبيرة منه إلا صوّرها لك أدق تصوير

والمتتبع لأوصافه يلاحظ أنه كان مولعاً بوصف كل ما يقع تحت نظره وربما كان لنشأته دخل كبير فى قدرته على الوصف فالفرس بطبيعتهم قوم خيال وموسيقى وشغف بالمظاهر الفخمة والألوان البراقة وبكل مارقت حاشيته وراق منظره ودق تركيبه ومزاجهم مثل طبيعة أرضهم التى منحتها الطبيعة بساتين نضرة وحدائق غناء مملوءة بأنواع الأزهار والرياحين والفواكه

(١) الظلم : ماء الأسنان

فلا عجب إذن إذا كان مهيار يصف دقائق الأشياء كالنيلوفر والرمانة والدواة والأقلام والمرآة والمكحله والميل والسمكة والدفاتر والسفن والخاتم والخيل والمناظر الخلابة . والظاهر أن الشيب أدرك مهيار قبل أوانه فأثر فى نفسه وكان لذلك صدى فى شعره

ومن أحسن ما قاله يصف الشيب قوله :

ما لسارى اللهو فى ليل الصبا ضل فى فجر برأس وضحا
ما سمعنا فى السرى من قبله بابن ليل ساءه أن يصبحا
طارق زار وما أنذرنا مرغيا بكرا ولا مستنبحا
صوحت ريحانة العيش به فمن الراعى نباتا صوحا

وقال يصف النيلوفر (نوع من الرياحين ينبت فى المياه الراكدة)

ساهرة الليل نؤوم الضحى ريانة والأرض تشكو الظما
رائحة فى السرب لم تقتنص ظباؤه إلا بأمر الدجى
ملثم فوها وإن لم يكن فى شفتيها ما لها من لمى
حية ماء ناقع سمها وناقع سم أفاعى الصفا
تعطيك منها ألسنا عدة مجتمعات كلها فى لها

(راجع الديوان ص ٨ ج ١)

وقال يصف رمانة حمراء (لغز) ٣٤٤ — ١

ما أم أولاد كثير فى العدد(١) تروى رضاعا وهى بكر لم تلد ؟
تبسم عن عذب الرضاب بارد لولا دم يصبغه قلت(٢) برد
يا حسنها مجموعة الشمل ويا أضعاف ما تحسن والشمل بدد

وقال يصف مرآة (١١٧ — ٣)

ومكنونة بين الخدور أقامها هواى ونصحى حالتين على رجل

(١) إشارة إلى ما بالرمانة من كثرة الحب (٢) إشارة إلى حلاوتها ولونها

قديمة عهد العمر فطمت عانسا فان ولدت منى فتى ولدت مثلى
لها أخوات فى البلاد كثيرة ووالدها فى الدهر منقطع النسل
تقص على الحق ماحضرت معى ولا تصدق الأخبار بعدى ولا قبلى

وقال (ملغزا) فى مكحلة ومرود : (١١٧ — ٣)

وما زوجان من ذكر وأنثى ترى الالحاظ نحوهما تميل
إذا اقترعا على إحراز حسن أغار على سميهما النحيل
وحاملة لها ابنا وهو بعل يعال بها لأطفال تعول
لها من زادها ما أطعمته وغيرهما لزادهما الأكول
يداوس(١) بين جنبيها علاجا دقيقا تحته معنى جليل
اذا ما ابن عصى بنتاج أم فأن نتاج أمهما جميل

وقال (ملغزا) فى الميزان

وما زائد أبدا ناقص فطورا يقوم وطورا يميل
إذا ضل فهم الدليل الحكيم هدى الناس منه دليل جهول
متى خف أوطاش أعمدته وتحميه وهو رزين ثقيل
له مرفقان يقيم الحدود على حسب ما يقول
فحاضره صحة أو ضنى وغائبه سمج أو جميل

وقال يصف السماء (٣٣٢ — ٣)

دارت عليك بكأسها فاتشكرنك والندامى
وجلت جواريها عليك رواقصا غرا وساما
تلقى نواحلها الخما ص سمينة المغنى جساما
يقدمن واضحة الجبين تشق غرتها الظلاما
تحيي وتقتل من رأت أبدا وصالا وانصراما

(١) يداوس ؛ يطأ برجليه

تطوى وتنشر فى البلا د فلا رحيل ولا إقامه

(١١) الفخر

لم يكن مهيار طويل النفس فى الفخر ولعل السبب فى ذلك أنه لم يكن من أشراف الفرس ولا من سراتهم كما كان أستاذه الشريف الرضى من أشراف قريش ومن سراة العلويين ولم يكن مهيار ولا أسرته من أرباب الثروة وأصحاب الأموال فقد علمت أنه كان يتكسب بالشعر وربما تلمح فى غضون كلامه أنه خامل الذكر وكثيرا ما كان يعترف بذلك ويحث نفسه على الظهور والطموح إلى العلا يدلك على ذلك قوله : (٢٣٢ — ٣)

قد كان يرتاب الغبى بفطنتى ويريبنى بالعجز فرط تلومى
ومشى إلىّ الضيم مشى تسلط وطماعة فى عفتى وتسلمى
وأصاخت الأيام بى قم تحتشم وأشارت العلياء خاطر تعظم
إن كنت تنكر يازمانى جلستى فلأنهضن لها نهوض مصمم
ولتدعونى ثائرا مستيقظا إن كنت أمس دعوتنى فى النوم
ولأنفضن من الهوينى منكبى نفض العقاب سقيط طل معتم
ولألقينك راكبا من عزمتى جرداء تفتح فى الطريق المبهم
فى كف راكبها عنان مسمح(١) فى السبق غرة وجهه لم تلطم

بل إنه يعترف فى مكان آخر بان عطايا الكرماء ومنح العظماء هى التى خلقت منه شاعرا مجيدا وجعلت له ذكرا يطير فى الآفاق وذلك حيث يقول من قصيدة طويلة (٢٤٧ — ٣) يمدح بها أبا سعيد بن عبدالرحيم

ركبت جموحا على المطامع لا يلفت رأسى مال ثرى(٢) ونمى
فرضتمونى بألسن وبأخلاق ليان أصبحن لى لجما
دربتمونى يدا بأن أقبل السر رفد وأن أمدح الرجال فما

(١) مسمح . مسرع (٢) ثرى . زاد

فسحتم فى مضيق صدرى وأفـــصحتم لسانى من طول ما انعجما
فمن جدا كم عنـــدى ونعمتكم أنى تعلمت أشكر النعما
وكلما آد (١) دينكم عنقى قضيتكم عن فروضه الكلما

فلا عجب إذن إذا وجدنا أن مفاخر مهيار تكاد تكون مقصورة على الفخر بانتسابه للفرس وعلى بيان منزلته فى الأدب وعلو كعبه فى الشعر

وقد قدمنا لك فى الكلام على مذهبه السياسى واعتناقه الأسلام مايكفى للبرهنة على أنه كان يفتخر بفارسيته و بأسلامه و نزيدك هنا مثلا آخر جمع بين الأمرين ذلك هو قوله : (٦٤ — ١)

أعجبت بى بين نادى قومها أم سعد فمضت تسأل بى
سرها ما علمت من خلقى فأرادت علمها ما حسبى
لاتخالى نســـبا يخفضنى أنا من يرضيك عند النسب
قومىَ استولوا على الدهر فتى ومشوا فوق رؤوس الحقب
عمموا بالشمس هاماتهم وبنوا أبياتهم بالشهب
وأبى كسرى على إيوانه أين فى الناس أب مثل أبى
سورة الملك القدامى وعلى شرف الأسلام لى والأدب
قد قبست المجد من خير أب وقبست الدين من خير نبى
وضممت الفخر من أطرافه سؤدد الفرس ودين العرب

وقال يفتخر بشعره (من مطولة يمدح بها أبا طالب بن أيوب ٣١٧ - ٣)

فاسمع أكايلك جـــزاء بهـا غنيمة جاءتك من مغـــرم
سيارة فى الأرض لم تغترض (٢) عنسا (٣) إلى سير ولم تحزم
نافقة فى موسم مكـسد ناطقة فى زمن مفحم

(١) آد : أثقل (٢) أى لم تضع عليها غرضا وهو للرجل بمنزلة الحزام من السرج (٣) العنس : الناقة القوية الصلبة

تنسى الليالى وهى مذكورة ويهرم الدهر ولم تهرم
نسيبة إما إلى «هاشم» القريض أو «مخزومة» تنتمى
ما ضرها — والعرب أبياتها آباؤها — منى الأب الأعجم

ومن أحسن ما قال فى هذا المعنى قوله :

إذا شئت أن تبلوا امرأ أين فضله من النقص فاسمع عنه إطراى أو جرحى
وكم ملك لو قد سمحت أريته بوجه قريضى طلعة النصر والفتح
ذا ماترامت عاليات المنى به بعيدا تمنى موضع النجم أو مدحى

ومن ذلك قوله فى قصيدته :

نعم عهدك العقد الذى لاتحله يد الغدر والحبل الذى لاتساهله
وإنك قد أحرزت منى مهندا يروق وإن رثت عليه حمائله
وعذراء من سر الفصاحة بيتها طويل العماد متعب من يطاوله
لها نسب فى الشعر كالفجر فى الدجى متى تظلم الأنساب ترفع مشاعله
ابوها شريف الفكر ـ والفخر كله إصابتها مهرا كأنت تباعله

(١٢) الهجاء

وهنا أيضا نلاحظ أن مهيار لم يكن مكثرا ولم يقذع فى القول إذا هجا وليس هناك من سبب نعرفه لذلك غير اتصاله بالشريف الرضى الذى أبت عليه عفته وكرم منزلته وعلو نفسه أن يكون بذىء اللسان متبرما بالناس

على أن حياة مهيار لم تكن حياة منافسة وعداء ولكن كانت عيشة هدوء وسكينة فنحن نعلم أنه كان فى وئام وسلام مع العظماء والأدباء من أبناء عصره فلم يكن هناك داع للهاجاة والمفاخرة والمنافرة وإن حصل بينه وبين أحد ممدوحيه كلام فأنه لم يتجاوز حد العتاب

أما القليل من الهجاء الذى نطق به لسانه فأنه كان مقصورا على العرب والبخلاء والسفهاء من أبناء زمانه قصور مدائحه على الفرس وأولياء نعمته

والعظماء من عشيرته أما هجاؤه للعرب فقد مر عليك منه الشيء الكثير وأما هجاؤه للبخلاء فتراه كثيرا مبعثرا فى قصائده مندمجا فى مدائحـــه اندماجا فمن ذلك قوله (١٠٣ — ١)

أمـــدح المثرين ظنا بهم ربما يقمر بالظن الكذوب
كل وغد الكف منبوذ الحيا طيب المحضر مسبوب المغيب
يمنع الرفد وتلقى وفـــده قحة البخل بأدلال الوهوب
يطلب المدح لأن يفضحه وهو قبل المدح مستور العيوب
قلت للآمال فيه — كذبت أمه - إن كنت آمالى نخيبى
جلب الأرض عريض دونه وسرى العيس و إدمان اللغوب

وقوله (٨٩ - ٣)

قل للئيم يضم راحتـــه خوف سؤالى—أعفيت فاعتزل
كففتها ترهب العطاء فمـــا أحسنها لو تكف من شلل
عهدى بمال الجواد يأمننى فكيف قد خفتنى مع البخل
مالك ترتاع للسماع إذا سيل أناس وأنت لم تســـل

وهاك مثلا من هجائه لأهل زمانه (مختارات البارودى ص ٤٤٥ ج ٤)

وملثمين على النفاق بأوجه صم يصيح اللؤم من قسماتها
صبغوا الوفاء بياضه بسواده والمكرمات هبوبها بسباتها
متراهنين على الدنية أحرزوا غاياتها وتناهبوا حلباتها
ورثت نفوسهم خبائث أصلها لؤما وزادت دقة من ذاتها
أيد تجف على الربيع وألسن سرق السراب الآفك من كلماتها
خلق إذا حدثت عن أخلاقها فكأنما كشفت عن سوآتها

وقد ضاقت عليه الدنيا بما رحبت لما صده أحباؤه وعثر به حظه فقال :

صد حبيب وصد حظ فعمن المســـتهام سالى
قد جمع البخل والتجنى واختلط اللؤم بالدلال

فلست أدرى أداء قلبى أضوى بجسمى أم داء حالى
بلغ زمان النفاق عنى مالك ياقاتلى ومالى
كسر على الجبر كل يوم منك وجرح على اندمال
قد هونت عندى التوالى من شرك السبق الأوالى
يا ليت حينا بسوء حظى ثم تأليت (١) لا أبالى
قل للغنى البخيل أمنا مالك بسل (٢) عن سؤالى
مثلك مارسته فاعيا يمينه الفخر فى شمالى
كنت على عفتى وصونى أشفق منه على النوال
لى من بقايا الكرام مرعى يسمن فيه عرضى وحالى

(١٣) فنون أخرى

قد ذكرنا لك أهم الفنون الشعرية التى نبغ فيها مهيار . وهناك فنون أخرى لم يطرق أبوابها كثيرا منها الحكم والقناعة والعتاب

فمن الحكم قوله (٢٥٦ - ١)

خليلك من صفا لك فى البعاد وجارك من أذمّ على الوداد
وحظك من صديقك أن تراه عدوا فى هواك لمن تعادى
• رب أخ قصى العرق فيه سلو عن أخيك من الولاد
فلا تغررك ألسنة رطاب بطائنهن أكباد صوادى
وعش إما قرين أخ وفى أمين الغيب أوعيش الوحاد
فأنى بعد تجريبى لأمر انست ولا أغشك بانفرادى

ومما قاله فى القناعة (١٣٨ - ٣)

أكرم يديك عن السؤال فأنما قدر الحياة أقل من أن تسألا
و إذا نزعت إلى أرومة مخصب زاك فصن أغصانها أن تبذلا

(١) تأليت : حلفت (٢) بسل : حرام

ولقد أضم إلى فضل قناعتى وأبيت مشتملا به متزمـلا
وأرى العدو على الخصاصة شارة تصف الغنى فتخالنى متمولا
وإذا امرؤ أفنى الليالى حسرة وأمانيـا أفنيتهن توكلا

ومما قاله فى العتاب (٢٩٨ - ٣)

وبعد على النوى وعلى التدانى فقد أشقيتنى بعد النعيم
وقد خلفتنى من كف دهـرى بطول الصد فى أسر لئيم
أروض الحمد فى أيد جعاد (١) وأرعى جانب العيش الذميم
تصوح مرتعى وذوت عروقى بهجر سحابك الصخب الهزيم (٢)
ولم تك قط فى سعة وضيق لتغفلنى وتشغل عن رسومى
فمـا بالى جفيت أما حديثى يذكرك الحقوق أما قـديمى ؟
ألست بصحبتى ووفاى أهـلا بمـــنزلة المساهم والقسيم
نطقت ولو أطقت لكان صمتى على ما اعتدت من خلقى وخيمى (٣)
بقيت لمـدحكم فابقوا لرفدى على رعى المصوح والهشيم

(١٣) موازنـــة

إذا عنّ لك أن توازن بين مهيار وبين غيره من شعراء عصره فأنك ولاشك سائل نفسك قبـــل كل شىء عن منزلة مهيار بالنسبة لأستاذه الشريف الرضى و إنك بعـد الاطلاع على أشعارهما و تفهم أغراضها ومعانيها و تعرف ألفاظها ومبانيها لن تتردد فى أن الهوة بين الشاعرين ليست بسحيقة وأن الفرق بينهما ليس بشاسع ، فالتلميذ صورة من أستاذه ولـكن صورة فقط والصورة لا يمكن أن تـكون هى والأصل متحدين من جميع الوجوه

وكيف يتسنى لأعجمى مقلد فى عربيته أن يكون مثـل عربى صميم روحه عربية ولسانه عربى شب وشاب فى أحضان لغة الـكتاب واختلط كلام الأمام على بلحمه ودمه وسرت بلاغة العرب فى عروقه

(١) جعاد : يابسة (٢) الهزيم : الراعد (٣) الخيم : الطبع

وكيف يتهيأ لمهيار وقد علمت عنه ما علمت وعرفت من منزلته الاجتماعية ما عرفت أن يجارى الشريف الرضى فى مضمار المفاخرة وهل يتسنى لمهيار أن يقول مثل ما قال الشريف الرضى مخاطبا القادر بالله الخليفة العباسى ؟

عطفا أمير المؤمنين فأننا ... فى دوحة العلياء لا تتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت ... أبدا كلانا فى المعالى معرق
إلا الخلافة ميزتك فأننى ... أنا عاطل منها وأنت مطوق

وهل وصف مهيار للشيب يضارع قول الشريف الرضى فيه ؟

غالطونى عن المشيب وقالوا ... لا ترع إنه جلاء حسام
أيها الصبح زل ذميما فما أظـ ... ـلم يومى من بعد ذاك الظلام
أومضت شمسك المنيرة فودى ... فمن لى بظل ذاك الغمام
قلت ما أمن من على الرأس منه ... صارم الحد فى يد الأيام

فأذا كان مهيار قد حاكى أستاذه فى أسلوبه وطرق جميع أبواب الشعر التى طرقها فأنه قد ذهب بشعره مذهبا آخر واستخدمه لأغراض أخرى

فبينما تسمع الشريف يمدح خلفاء بنى العباس أو يفاخرهم إذا بمهيار يمدح امراء بنى بويه و يتقرب إلى رؤساء الفرس و يقول لهم :

بقيت لمدحكم فابقوا لرفدى ... على راع المصوح والهشيم

و إنك لتجد فوق ذلك كله فى تراكيب مهيار صعوبة وفى معانيه غموضا لاتجدهما فى شعر الشريف الرضى

ومع هذا كله نقول إن طول نفس مهيار وقدرته النادرة على ابتداع المعانى واختراع الأساليب والتصرف فى الخيال واللعب بالألفاظ ، والتفنن فى التراكيب كل هذه تجعله من فحول الشعراء

وعسى أن تتاح لى فرصة أخرى للبحث فى شعر ذلك الشاعر المجيد بحثا أكثر إسهابا والله يهدينا سواء السبيل ؟

حامد عبد القادر